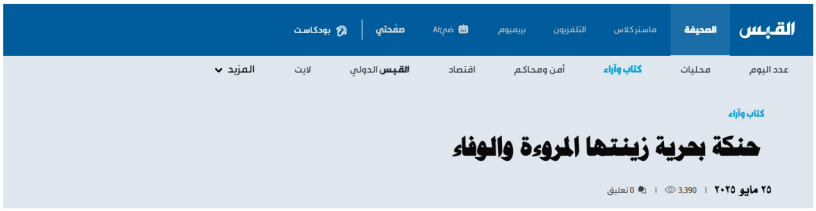

د. عبد المحسن الجارالله الخرافي

د. جمال حسين المحترم

اتجاهات / بعد السلام

سلسلة أهل الكويت الطبيون (٤٠٨)

حنكة بحرية زينتها المروءة والوفاء

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المرء أن يكون سريع البديهة، حسن التصرف، ذكيًا فطنًا، لأن ذلك بالتأكيد من أهم عوامل نجاحه وتفوقه، وإذا صاحبت سرعة البديهة وحسن التصرف أخلاق الوفاء والمروءة والاعتراف بالجميل فإن هذا الرجل قد حيزت له العديد من صفات الخير والصلاح بإذن الله تعالى.

وقد وردت العديد من المواقف الواقعية التي توضح أن أهل الكويت الكرام قد تحلو بسرعة البديهة وحسن التصرف هذا بالإضافة إلى حفظهم للعهد واعترافهم بالفضل لمواطنيهم ورفقائهم، ومن تلك النماذج الطيبة التي تحلت بهذه الأخلاق الجميلة شخصية النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان رحمه الله تعالى الذي مَنَّ الله تبارك وتعالى عليه بالحكمة ورجاحة العقل، فكان يدير أمور سفينته بأسلوبه بحكمة وذكاء، كما اتضح من خلال هذا الموقف وفاءه رحمه الله تعالى للبحارة الذين عملوا معه، واعترافه لهم بالفضل والجميل.

وكانت بدايات النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان رحمه الله تعالى الحقيقية مع القيادة والملاحة البحرية عندما أتم الحادية والعشرين من عمره (عام ١٣٤٤هـ) عندما أصبح نوخذة وتسلم قيادة السفينة "تيسير"، والتي ظل يقودها على مدار إحدى عشرة سنة متصلة؛ حيث كان يقودها إلى موانئ ساحل الهند الغربي، حتى جعلها من أشهر خشب الكويت.

ولقد كانت رحلاته هذه تحظى بالكثير من التوفيق والعناية الإلهية، حتى إن النوخذة عبدالوهاب العثمان رحمه الله تعالى لم يستخدم شراع "التركيت" (يستخدم شراع التركيت (الصغير) عندما تشتد الرياح، حيث يخشى الربان (النوخذة) من استخدام الشراع الكبير، الذي قد يتسبب في انكفاء السفينة عند اشتداد الرياح) في سنتين متتاليتين، وبفضل الله تعالى لم يحدث أن تمزق له شراع أو انكسر "فرمن" أو صارٍ للسفينة، ولقد كانت جميع رحلات النوخذة عبدالوهاب العثمان للهند، ولم يذهب قط إلى ساحل إفريقيا الشرقي، أو ساحل اليمن.

وقد ذكر النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان رحمه الله تعالى هذه القصة بنفسه للباحث في التراث الكويتي الأخ الفاضل د يعقوب يوسف الحجي أنه تعرض مرة لعاصفة بالقرب من ساحل فارس، فأمر بإنزال الأشرعة وجعل السفينة "تيسير" تحت رحمة الله تعالى تدفعها الرياح، والأمواج "مدبرة"، ولما أتى عليهم صباح اليوم التالي كانوا بالقرب من جزيرة "أرزنة" بالقرب من دولة قطر فمكثوا في البندر حتى تحسنت الظروف الجوية فأبحروا عائدين، وهذه القصة إن دلت على شيء فإنما تدل على حنكة هذا الربان الكبير وفطنته وذكائه، كما تدل على معرفته بأحوال البحر وحسن تصرفه.

أما على الجانب الإنساني فلم ينسَ النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان رحمه الله تعالى رجاله من بحارة الكويت الذين ركبوا معه "تيسير" بل إنه كان يتحدث عن جميع بحارة الكويت في لفته إنسانية محملة بالوفاء والاعتراف بالجميل، وذلك خلال حديثه للأخ الفاضل د يعقوب يوسف الحجي؛ قائلاً: "لا تنس البحارة، هم أهل أمانة وذمة وصلاح وصدق، يفنون أنفسهم في سبيل

سفينتهم وكأنها حلالهم .. لهم الشهادة والحق .. أهل صدق ووعد لا يتأخرون عن موعد السفر، تراهم دائماً على أتم الاستعداد للسفر، ودائماً هم مخلصون .. لهم الفخر دائمًا، نقول ذلك أمامهم وفي غيابهم .. وحين جربنا غيرهم عرفنا فضلهم أكثر".

وهكذا ضرب لنا النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان مثالاً رائدًا يحتذى به في الحنكة والفطنة وحسن التصرف من جهة، كما أعطى درسًا رائعًا في الوفاء والاعتراف بالجميل من جهة أخرى، وهكذا تحلى أهل الكويت الكرام بالفطنة والذكاء والقدرة على التعامل مع مستجدات الأمور بحنكة وفطنة، وكانت قلوبهم مليئة بالوفاء لأصحابهم وكل من عملوا معهم، فأصبحوا قدوة حسنة يحتذى بها في حسن التعامل وحفظ الجميل.

رحمهم الله تعالى جميعاً رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي